مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المسيو فليكس فور

﴿ من معمل الدباغة الى رئاسة الجمهورية ﴾

(احاديث جريدة الفيغارو الجديدة)

ترجمة دباغ صار رئيساً لامة عظيمة . اعماله وسبب ارتقائه . ايام فشوده . كيف انتخب للرئاسة . الماسونية وسلطتها على الجمهورية . زيارته لروسيا وكيف حمل القيصر على اعلان التحالف . رغنه في استخدام الصحافة . رايه في وزرائه وفي الملكيين . برادة صديق معه . هل تسقط الجمهورية . والسنا لمواهب وقوى ذاهبة سدى

اذا كان الغرض من نشر تراجم مشاهير الرجال ان يتعظ القارىء بها ويعتبر فالمرحوم فليكس فور رئيس الجمهورية الفرنسوية قبل المسيو لوبه اولى الناس بالترجمة . والذي يجعل لترجمته في هذا الاوان اهمية خصوصية ما تنشره جريدة الفيغارو من احاديثه مع بعض اخصائه

وبيان الخبر ان جريدة الفيغارو طرأ بين مديريها ومساهميها منذ بضعة اشهر خلاف افضى الى استبداد مديرها المسيو بريفيه بادارتها دون سواه . فرغبةً منه في توجيه الانظار اليها والدلالة على مقدرته الادارية سعى فحصل على احاديث كان يسرُّها المسيو فليكس فور مدة رئاسته الى بعض اخصائه وصار ينشرها في مقالات متتالية في جريدته . ومنهم من قال ان المسيو فليكس فور نفسه قد كتب هذه الاحاديث على هذا الوجه لتنشر بعد مماته . ومهما يكن من هذا الامر فانه لا شبهة في ان تلك الاحاديث في غاية الاهمية وليس الآن في العالم رجل سياسي او قارىء يتبع سير سياسة العالم الا ويقرأها بلهفة وشوق . وهذا ما حملنا على تلخيصها للقراء

ولكننا نأتي قبل ذلك على فذلكة من ترجمة المسيو فليكس فور زيادة في الفائدة

***

ولد فليكس فور في باريز من ابوين فقيرين في عام ١٨٤١ وكان فتى نبيهاً مطبوعاً على

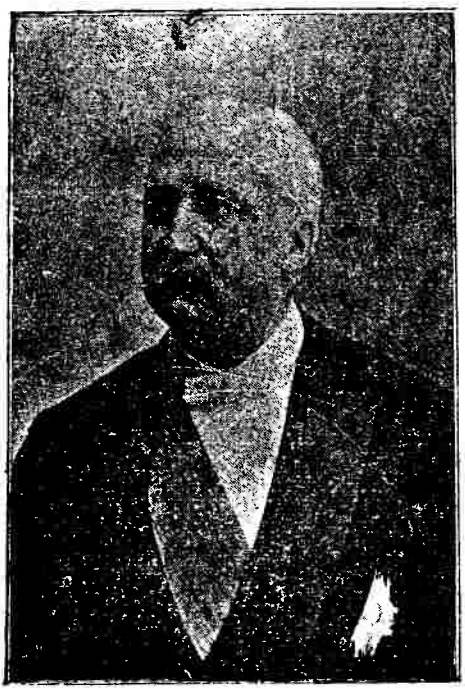

﴿ المسيو فليكس فور ﴾

حب الفائدة والسعي اليها بتأنٍّ ونشاط. اي انه كان من ذلك النسل الذي يسمونه « النسل المادي » لانصراف افكاره عن التصورات والاحلام الى الامور المادية الحاصلة . ولما دخل فليكس فور الى مدرسة بومبيوس التجارية في ايفري زادته دروس هذه المدرسة تمكناً في آرائه

وبعد خروجه من هذه المدرسة سافر الى انكلترا فاقام بضعة شهور مستخدماً في احد محلاتها التجارية ثم عاد الى فرنسا ودخل عاملاً في معمل للدباغة للمسيو دومه في امبواز . وقد وصفه المسيو دومه صاحب المعمل في صغره فقال « ان فليكس كان طويل القامة نحيفاً كعود الكبريت شديد صفرة الوجه بلا لحية ولا شارب وجسمه محدوب قليلاً . ولكن نفسه كانت مستقيمة كالسيف وصدافته قوية كعصا معقدة »

ولا يزال في معمل المسيو دومه كثيرون من العملة الشيوخ يذكرون الفتى فليكس العامل وهم يشيرون حتى اليوم الى مكان في شاطيء نهر بجانب المعمل كان فليكس يغسل

فيه جلرد المعمل . ولما انتخب لرئاسة الجمهورية بعث اليه رفاقه العاملون في معمل دومه المذكور بالتلغراف التالي

« يا حضرة الرئيس

« نحن الموقعون على هذه الرسالة نتشرف بان نهنئكم بانتخابكم لرئاسة الجمهورية ونرجو ياحضرة الرئيس ان تثقوا باننا ندعو دواماً بحفظكم للمنصب السامي الذي وضعتكم فيه دار الندوة»

على ان الذي يقرأ هذه الرسالة تحدثه نفسه بان اولئك العاملين كانوا يخشون ان يعود فليكس الى الدباغة في معمله حتى قالوا له « نرجوك ان تثق باننا ندعو لك بحفظك لمنصبك »

وقد صرف الفتى فليكس سنتين في هذا المعمل ثم خرج منه وشارك بعض التجار وفتح محلاً خصوصياً له فنجح وارتقى واكتسب ثقة رفاقه التجار فعين في جملة قضاة المحكمة التجارية فانصرف الى خدمة الغرفة التجارية في الهافر . ولم تكن تكفيه الفوائد التجارية التي كان يكتسبها بالدرس والملاحظة فراح يسوح في الشرق ليفحص فيه مجرى التجارة وحاجاتها فوصل حتى الى بلاد ايران في زمن قلما كان الفرنسويون يخرجون فيه من وطنهم . وقد باغتته حرب السبعين وهو في مشاغله التجارية فتجند يومئذ وفاد الاورطة السادسة لحرس الهافر ثم سار ببعضها الى باريز لكبح جماح انصار الكومون فكافأته الحكومة بوسام جوقة الشرف .

وفي سنة ١٨٨١ عين عضواً في مجلس النواب . فكان عقله منصرفاً الى الامور التجارية والاقتصادية والبحرية . فجعل سكرتيراً لوزارة المستعمرات والبحرية ثم انتخب نائباً لرئيس مجلس النواب ثم جعل وزيراً للبحرية حتى ارتقى الى رئاسة الجمهورية

ولم يرتقِ الى هذه الرئاسة لانه اقدر رجال عصره او اعلمهم او اشدهم دهاء . كلا ولكن هذا الرجل كان حسن الحظ منذ شبابه . فانه لم يقدم على امر الا ونجح فيه . ولعل ذلك لانه كان معتدلاً كل الاعتدال لا يطمح في السياسة وفلسفة الاجتماع الى ما وراء الموجود الحاصل ويسالم كل الاحزاب حتى الاحزاب الملكية حتى انه لم يشترك في القرار الذي قرره البرلمان من نفي المطالبين بعرش فرنسا بل اقام على الحيادة بين الفريقين . وكان فوق ذلك بشوشاً لطيفاً يعتقد ان الاعداء لا يُغلبون الا بالاحسان اليهم ولذلك كان كثير المجاملة والمداراة لاعدائه فيقلعون عن عداوته . والحاصل ان كل رجل كان يقابل هذا الرجل كان يخيل له انه صديقه الخاص وسواء دُعي هذا الامر رياء او تلاعباً بالناس فانه قوة وهذه القوة نافعة جداً لمن تكون له نفس لا تستنكر استخدامها

اما اعمال فليكس فور مدة حياته فهي انشاؤه مجاساً عالياً لوزارة المستعمرات ووضعه

اساس المدرسة الاستعمارية وتنظيمه مراكز فرنسا العسكرية والتجارية في مستعمراتها في افريقيا وجهره بالسياسة الاستعمارية في زمن كان الجهر فيه بذلك يقتضي شجاعة ادبية وهو الزمن الذي كان فيه الاشتراكيون قائمين قاعدين بسبب فشل فرنسا في حملة التونكين . وقد وضع قانوناً مقتضاه جعل اصحاب المعامل مسئولين عن الطوارئ التي تطرأ على العملة في معاملهم وجعل الحكومة تنشئ وساماً خصوصياً يدعى وسام العملة وذلك لمكافئة العملة متى احسنوا صنعاً . واقترح على مجلس النواب تقرير مادة مقتضاها ان كل من يبذل حياته لانقاذ احد من الناس تعطى ورثته راتباً قدره ثلاثمائة فرنك في كل عام . وزد على ذلك انه كان واسطة التقرب العظيم الذي حدث بين فرنسا وروسيا يوم زيارته القيصر في بطرسبرج . وقد كتب فليكس فور كتاباً هذا عنوانه « ميزانية فرنسا وباقي الامم الكبرى »

﴿ احاديث الفيغارو ﴾

ايام فشوده — اما الاحاديث التي حدث بها فليكس فور صديقه الذي لا يزال مجهولاً ولا تزال جريدة الفيغارو تنشرها في مقالات متوالية فاننا نلخصها هنا تلخيصاً قال فليكس فور في مسالة فشوده

« لقد كانت الحرب يومئذ على قاب قوسين او ادنى . وقد بذلنا جهدنا لنكون في غاية الاستعداد لها . ولكن الصعوبة كانت في ماذا تكون وظيفة رئيس الجمهورية في اثناء الحرب فان الدستور الفرنسوي لا يشير الى شيء من ذلك بل يكتفي بقوله « ان باريز تكون مركز الحركات الحربية في اثناء الحرب » ولكن اذا حصر العدو باريز فماذا يصنع رئيس الجمهورية . وماذا تكون وظيفة البرلمان حينئذٍ . اما انا فقد كنت عازماً على ان اطلب من البرلمان ان يعين عشرين عضواً من مجلس النواب ومن مجلس الشيوخ ويجعلهم لجنة وقتية لمساعدة السلطة الاجرائية اي الحكومة واذا وقع بين هذه اللجنة والحكومة اختلاف كان الفصل في ذلك لرئاسة الجمهورية والحكومة على شرط ان تكونا مسئولتين عن ذلك لدى البرلمان . فقال له صديقه وهل كنتم لا تخشون جانب المانيا في حربكم مع انكلترا . فاجاب الرئيس انني كنت على ثقة من ان المانيا لا تحرك ساكناً لان من مصلحتها ترك فرنسا وانكلترا تضعفان معاً . ومع ذلك فاذا حركت ساكناً فان روسيا حاضرة لارجاعها .

ثم قال الرئيس انه من الواجب ان يكون رئيس الجمهورية محبوباً الى الشعب والعامة ليكون ذا سلطة حقيقية وتاثير فعلي في سياسة الامة في الازمات الشديدة . ولا اكتمك انني محبوب جداً الى الشعب خلافاً لمن تقدمني من الرؤساء . فان المسيو كارنو كان مصاباً

بمرض في معدته فلم يكن بشوشاً لطيفاً لان البشاشة والمرض امران لا يجتمعان . واما انا فمعدتي قوية جداً ولذلك تراني مسروراً دائماً . وسروري هذا يسري الى الشعب وهذا سبب ارتياحه اليَّ

. . . . . .

طريقة انتخابه للرئاسة — وتكلم عن انتخابه لرئاسة الجمهورية فقال . انني لا اعرف لذلك من سبب غير حسن الحظ . فانني لما سقطت الوزارة السابقة زرتُ شارل دبيوي لاساله ان يرضى برئاسة الوزراء التي كان يقدمها اليه اصدقاؤه . والعادة ان الذي يقول هذا القول لرجل اهل للرئاسة يكون كانه يقول له « اذكرني متى توليت رئاسة الوزراء » فلما صار دبيوي رئيساً للوزارة استدعاني وقلدني وزارة . وهذا سبب صيرورتي وزيراً

اما انتخابي لرئاسة الجمهورية فقد كان شبيهاً بهذا الامر تقريباً . فان الجرائد الاشتراكية كانت تطعن على المسيو كازيمير بريه رئيس الجمهورية بعد المسيو كارنو طعناً شديداً . ففي ذات يوم كنت سائراً لحضور مجلس الوزراء في قصر رئاسة الجمهورية فتناولت احدى تلك الجرائد فرايت فيها طعناً في الرئيس لا اقبح منه فاخذت الجريدة والقيتها في مجلس الوزراء وسالتهم اذا كان لا يجب محاكمة الطاعن . فتناول كازيمير بريه الجريدة وقراها ثم القاها دون ان ينطق بكلمة . فتناولها رئيس الوزارة ولم يظهر رغبة في محاكمة الكاتب مخافة ان تكون الجريدة نفسها راغبة في هذه المحاكمة زيادة في شهرتها . ولكنهم عادوا فقرروا محاكمة الكاتب فدافع عنه المسيو جوريس دفاعاً كان له دوي في اوربا كلها فبرات المحكمة ساحة الطاعن وحينئذ استعفى المسيو كازمير بريه من رئاسة الجمهورية . ولما شرعوا في انتخاب خلف له وقعت اكثرية اصوات دار الندوة عليَّ لانني كنت معتدلاً ولم اكن قد اسات الى احد . فكاني كنت السبب في استعفاء المسيو كازمير بريه وانتخاب نفسي . اليس هذا من الاتفاق وحسن الحظ

. . . . . .

الماسونية وسلطتها على الجمهورية — قال فليكس فور « ويزعم بعضهم ان مقاليد الجمهورية في ايدي الماسون فلا يحدث شيء فيها الا وهم راضون عنه . ويزعم بعض آخر ان مقاليد الجمهورية في ايدي الجزويت فلا يحدث شيء فيها الا برضاهم واغرائهم . وكلا القولين عبث وثرثرة فارغة فانني انا ماسونيٌّ ولكني لا اذكر ان الالواج الماسونية سألتني

امرًا يومًا ما ولقد « صوتُ » احيانًا ضد الامور التي كانوا يرغبون فيها فلم يكلمني في ذلك احد منهم . وانت تعلم ان المسيو « بريسون » هو رجل الماسون وصاحب النفوذ العالي عندهم ومع ذلك فان اصوات الجمهور بين لم تتفق على انتخابه رئيسًا للجمهورية . فلو كان للماسون الكلمة العليا في شؤون فرنسا وكان الجمهوريون خاضعين للالواج الماسونية لكان انتخب للرئاسة . ولا اذكر انني استفدتُ من عضويتي في الماسونية الا مرة واحدة في حياتي . فانني كنت يومًا مع احد الاصدقاء في محطة اثينا الحديدية والزحام شديد فلما ابصرتُ رئيس المحطة اشرتُ اليه اشارة ماسونية فخف الينا لانه كان من الاخوة واعدّ لنا مكانًا مناسبًا . هذا كل ما استفدته من الماسونية

. . . . . .

زيارته لروسيا وهو رئيس الجمهورية — « وكان همي في زيارتي لروسيا ان اؤثر تاثيرًا حسنًا في الدوائر الرسمية ولدى الشعب . فان رؤساء الجمهوريات ليسوا بابناء ملوك ليغتفر لهم ما يأتونه من الخطاء والخلل في اقوالهم واعمالهم مدة زياراتهم الرسمية . وكنت عالمًا ان اكثر السفراء لا يكرهون ان يسردوا لوزرائهم ما آتيه من الخطاء لدى مقابلتهم او ما اقع فيه من الارتباك والاضطراب ليضحكوا مني وقد كان رجال حكومة روسيا حتى سفير فرنسا في بطرسبرج نفسه غير مستريحين من هذا القبيل . اما انا فقد بذلتُ جهدي لاحسن مقابلة الجميع عملًا بان فشلي يضرُّ بفرنسا وسمعة الجمهورية نفسها اذ يقول الناس حينئذٍ ان هؤلاء الجمهوريين قوم جهلة لا يحسنون معاشرة الناس ومحادثتهم . ويسرني ان اقول لك انني قد قمت بهذا الواجب خير قيام . فانني كنت اعطي في المقابلات كل ذي حق حقه واحادث كل واحد بما يروقه ويطيب له . فسرَّ رجال الحكومة الروسية بذلك سرورًا لا مزيد عليه ورأيت سفيري مشرق الوجه من مروره . ولقد سمعني القيصر مرة اخاطب جنديًا روسيًا واساله عن حاله فقال لي لله كم تحسن التكلم بلغة الجنود . ومما ساعدني على النجاح في ذلك قامتي الطويلة وبشاشتي الدائمة . ولو كنت شيخًا ضئيلاً قصير القامة لوقعت في الفشل »

اما المسيو غاستون ليرو فانه يقول ان المسيو فليكس فور قد اخطأ في اثناء سياحته في روسيا مرتين . الاولى انه حضر استعراض الجنود بجانب القيصر وهو لابس رداءه الخارجي (باردوسو) وهذا امر محرم في المقابلات الروسية الرسمية . والثانية انه زار مع القيصر والقيصرة الكنيسة التي دُفن بها بطرس الاكبر دون ان يجثو امام القبر جريًا على العادة

الروسية . وقد اخذ الروس ذلك عليه

. . . . . .

تلغرافا البو تر والتحالف الفرنسوي الروسي — وقد قال فليكس فور في هذا الموضوع قولاً كان مجهولاً قبله . وهو ان روسيا وفرنسا لم تكونا قد صرحتا رسمياً قبل زيارتي بوجود تحالف بينهما . فلما دعوتُ القيصر نيقولا الى مائدة الوداع في دارعة البوتو قبل السفر كتبت نصّ « النخب » الذي عزمتُ على « شربه » ودفعته الى القيصر جرياً على العادة في مثل هذا الامر . وقد دسستُ فيه هاتين الكلمتين « روسيا وفرنسا المتحابتين المتحالفتين » فلما قرأه القيصر اعاده اليّ وقد كتب في نخبه هذه الكلمة التي كتبتها في نخبي . فكان اقدامي وحده باعثاً على اعلان تحالف الدولتين امام اوربا كلها . وقد كتبتُ ما كتبتُ وانا على ثقة من ان القيصر لا يعارضني لانني اعرف قلبه . ولو عارضني لعارضته حينئذٍ وقلتُ له ما الفائدة من كتمان تحالف معلوم امره لدى كل الناس . وهذا يدلُّ على ان رئيس الجمهورية قادر باقدامه على نفع بلاده . اذ انني لو تركت الى رجال حكومتي ان يكتبوا لي نص النخب لكتبوا عبارات مبهمة غامضة جرياً على العادة ولم يكن قد حدث في اوربا كلها شيءٌ من ذلك التاثير العظيم الذي حدث فيها يوم اعلاننا التحالف بتلك الصورة الرسمية

. . . . . .

فليكس فور وتاثير الصحافة — وقال صديق فليكس فور : قال لي الرئيس اليوم حين التقائي به انني اتيتُ مؤامرة صغيرة . فسالته ما هي . فاجاب انني لقيت المسيو جان ديبوي مدير جريدة « البتي باريزيين » وسالته لماذا تجتنب جريدته الكلام عني اجتناباً يكاد يكون مقصوداً ولماذا لا تصنع صنع جريدة « البتي جورنال » التي تغتنم كل فرصة للكلام عن رئيس الجمهورية . فاجابني ان جريدته لا تجتنب ذلك وانها ستقوم بما يجب عليها لرئيس الجمهورية كما قامت به من قبل . اما انا ففهمتُ من ذلك ان جان ديبوي لا يريد مجاراتي وما العمل به فانه رجل قوي وهو ينال كل ما يريده من الوزراء فلا يحتاج اليّ (١) واني اتمنى ان تكون الجرائد الكثيرة الانتشار نصيرة لرئيس الجمهورية حتى اذا طرأت بعض الطوارئ استطاع التاثير بها على الشعب وتحريكه الى حيث يريد .

---

(١) ﴿الجامعة﴾ ان المسيو جان ديبوي المشار اليه هو اليوم وزير الزراعة في فرنسا

ولا اعني بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد الكبيرة او جرائد الاحزاب فانه سيان لديَّ مدح هذه الجرائد وذمها لان لكل واحدة منها رأياً معلوماً وغرضاً سياسياً مشهوراً وكلما عملتُ عملاً عرفتُ قبل عمله الجرائد التي ستمدحه والجرائد الذي ستذمه . ولكني اقصد بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد التي قراؤها يعدون بالملايين وهي ملزمة الحياد فلا تتداخل الا في الازمات الشديدة . ومتى تداخلت وحثت على امر تبعها قراؤها لانهم اولاً لا راي لهم غير ما تكتبه وثانياً لانهم يعرفون حيادتها . واما الجرائد الاخرى فلا يتبعها قراؤها لان لكل واحد منهم رأياً خاصاً به وهم يعرفون سياستها .

نقول والمقصود بذلك ان قراء البتي جورنال والبتي باريزيين من العامة وقراء الجرائد الاخرى من الخاصة

. . . . . .

هو ووزراؤه — وقال عن وزرائه . ان المسيو ملين هو افضلهم لانه معتدل في سياسته . وقد كان اعتداله سبباً في استتباب السلام في داخل فرنسا وثقة الدول بحكومتها في الخارج . واما المسيو ريبو فهو رجل كثير النباهة ولكنه كثير التقلب لرغبته في ارضاء جميع الاحزاب معاً . واما المسيو بورجوى فهو صديقي الحميم شخصياً ولكني لا احب سياسته . واست اخطئ اذا قلت ان المسيو بورجوى انبه رجال السياسة ولكنه من سوء الحظ راديكالي متطرف . واني استغرب ميله الى الاشتراكية لان الاشتراكيين ليسوا من ابناء العصر وانصار التقدم وانما هم من ابناء الماضي وانصار التاخر . وقد كنت مستاءً من وزارة بورجوى ولما كنت اجول في فرنسا في احدى سياحاتي واسمع باذني اهانة مجلس السنات لمعارضته في مشروع الضريبة على الايراد الذي هو اهم مشروعات الراديكاليين كنت استاء من ذلك اشد استياء مخافة ان يظن الناس فيَّ الرضى عن سياسة المسيو بورجوى واهانة مجلس السنات . ولما استقال المسيو بورجوى سررت بانني صرت قادراً على مقابلته كصديق حميم لا كوزير

. . . . . .

فليكس فور والملكيون — وكان من سياستي التقرب من النبلاء والملكيين لاستمالتهم الى الجمهورية لانه يجب هدم السور الذي بيننا وبينهم ولذلك كنت اجامل والاطف كثيرين منهم وقد اهديت كتاباً مخصوصاً الى الدوقة دوز يس النحاتة الشهيرة التي سخط الجمهوريون عليها لانها وهبت الحزب الملكي شيئاً كثيراً من مالها ليستخدمه في اسقاط الجمهورية . واني

اعجب من ان ابناء النبلاء والملكيين يصرفون حياتهم في البطالة ولا يدخلون في وظائف الحكومة وينحازون الى الجمهورية خدمة « لفرنسا » ولاسيما في وظائف الشؤون الخارجية . ولماذا لا يكون بين سفرائنا مثلاً احد من ابنائهم غير المركيز دي روفرسو والكونت دي مونبلو (سفيري فرنسا في النمسا وروسيا)

. . . . . .

برادة صديق معه — وقال سمير المسيو فليكس فور : ان المسيو فور عهد اليَّ اليوم امرًا ثقيلاً . فانه كلفني ان اذهب الى فلان وارجو منه ان يترك البرادة مع الرئيس ولاسيما في المقابلات الرسمية . قال المسيو فور فان هذا الرجل من اصدقائي ولكنه يسيء اليَّ بصداقته فانه في اثناء المقابلات الرسمية امام الناس كلهم يخاطبني بلهجة الصديق « الرافع الكلفة بينه وبين صديقه » فانه لا يكلمني الا بضمير المفرد المخاطب انتَ وانتِ اظهارًا لما بيني وبينه من الصلات . فانا لا انكر صداقته ولطفه ولكني لست في المقابلات الرسمية « صديقه فليكس فور» بل اني حينئذ « رئيس الجمهورية » . وقل له افترض ان جنديين كانا متصادقين ثم ارتقيا والتقيا في آخر عمرهما الواحد كولونل والثاني جنرال فان الاول يكون مرؤوسًا للثاني في اثناء الوظيفة وصديقه خارج الوظيفة

. . . . . .

هل تسقط الجمهورية — اما الجمهورية الفرنسوية فان المسيو فور لا يرى انها تسقط مهما هاجمها اعداؤها . وذلك لان الجمهورية ليست ملكية يكفي لاسقاطها ان يُخلع الملك او يقتل بل انها ذات مائة راس وراس فمتى سقط راس منها قام راس . واذا فرضنا ان الانتخابات العامة افضت في ذات يوم الى انتخاب جميع اعضاء مجلس النواب من الملكيين فماذا يصنع مجلس النواب بالجمهورية . لا ريب انه لا يقدر على ان يوصل الاذى اليها لان مجلس السنات جمهوري والحكومة القابضة على ازمة الاحكام جمهورية ورئيس الجمهورية في الشانزليزه جمهوري وفضلاً عن ذلك فان الشعب جمهوري ولا يدع احدًا يمس الجمهورية بسوء . نعم انه اذا حدثت ازمة شديدة ووقعت فيها الجمهورية في فشل عظيم او طرأ عليها مصاب اليم يزعزع ثقة الفرنسو بين بها فديستسلم الشعب الى كل من يمدُّ يده اليه حينئذ لانقاذه ولكني لا اظن احدًا من اعداء الحكومة الحاضرة يتمنى ان ينزل بفرنسا مثل ذلك المصاب لبلوغ امانيه واماله

***

والحاصل ان قصة هذا « الدباغ » الذي صار رئيس دولة من اعظم دول الارض

والذي صار بمجالس القياصرة وسلاطين الامم والذي قام لذكره احتراماً اعضاء مجلس الرشستاغ الالماني لما بلغهم خبر وفاته بداء السكتة — قصة تشرف الوطن الذي عاش فيه وتوقع الحسره في نفوس كثير من الامم الشرقية . وهي تشرف الوطن الذي عاش فيه لانها تدلُّ على ما في ذلك الوطن من حرية ومساواة و وسائل للنهوض من معمل الدباغة الى زعامة الامة . وتلقي الحسرة في نفوس الشرقيين لما يرونه من الابواب المقفلة دون مواهبهم واستعدادهم والاسوار القائمة بينهم و بين ما تناجيهم به نفوسهم

ارايتم فرنكلين اذا وقف على قمة المجبل الابيض في ليلة ليلاء تكاثفت غيومها ولمعت بروقها كيف ياسف على تلك القوى الكهربائية العظيمة الذاهبة في اعالي الجو سدى

ارايتم زولا اذا وقف في نافذة قصره في باريز في اشد ايام القيظ وشاهد اشعة الشمس المحرقة تتفرق في الفضاء كيف ياسف لان الانسان لم يتعلم بعدُ طرق استخدامها

ارايتم نيوتن اذا وقف على شاطىء بحر المانش في يوم من اشد ايام الشتاء وشاهد هياج الامواج الهائلة وحركتها المستمرة الدائمة كيف ياسف على ذهاب هذه الحركة القوية سدى لان الانسان لم يقوَ بعدُ على استعمالها

ارايتم اذا عصفت العواصف وهبت الاعاصير تخرب المدن وتحمل الناس والسفوف والحيوانات الى اعالي الجو كيف ياسف الانسان على قوى هذه العناصر التي لا يستطيع اخضاعها واستخدامها

هكذا ياسف الشرقيون على قوى ومواهب رجالهم الذاهبة سدى

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانه ... وليس يصاب المرءُ من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تُذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

انستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... فطاب الانس لي وصفا السرور
وادبني الزمان فلا ابالي ... باني لا ازار ولا ازور
ولست بسائل ما عشت يوماً ... اسار الجند ام ركب الامير